سُورَةُ الزُّخْرُفِ

التَّعريف العامُّ بالسّورة:

المكّيُّ والمدنيُّ:

سورة الزُّخرف كلُّها مكّيَّة بالاتِّفاق[1]، وذُكِرَ أنَّ قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزّخرف: 45] نزلت بالمَسجد الأقصَى[2]، وهذا لا يتنافى مع كونها مكيَّة؛ لأنَّ المراد بالمكّيِّ ما أُنزِلَ قبلَ الهجرة.

ترتيب النُّزول، وترتيب المصحف، وعدُّ الآي:

ترتيب سورة الزُّخرف بين الشّورى والدُّخان في المصحف هو ترتيبُها في النُّزول أيضًا

هي السّورة الثّالثة والأربعون في التَّرتيب المصحفيِّ الشَّريف، وهو التَّرتيب الثّابت، والمُعوَّل عليه عند أهل النَّظر والتَّحقيق، جاءت بين سورتي الشّورى والدُّخان، وهي السّورة الثّالثة والسُّتّون في ترتيبها النُّزوليِّ، نَزَلَتْ بين السّورتَيْن السّابقتَيْن[3]، وهي ثَمانون وثماني آيات في الشّاميِّ، وتسع وثمانون في عدد الباقينَ، واختلافهم في آيتَيْن منها[4].

فضائل السّورة:

إحدى الحواميم، ومن السّور المثاني

عند البحث والتَّحقيق في آثار فضلها نجد أنَّها تدخل في السّور المثاني، وهي السّوَرُ الَّتي آياتُها مِئَةٌ أو أقَلُّ، الَّتي قال فيها النَّبيُّ ﷺ فيما رواه عنه واثلةُ بن الأسقع رضي الله عنه: «أُعطيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطيتُ مكانَ الزَّبورِ المئين، وأُعطيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمُفصَّلِ»[5].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 45.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 157.
(3) دروزة، التّفسير الحديث: 4/ 488.
(4) الدّاني، البيان في عدّ آي القرآن، ص: 221.
(5) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (16982)، والطّبرانيّ في المعجم، برقم: (187)، والبيهقيّ في شعب الإيمان، برقم: (2415).

اسم السّورة، ومناسبة تسميتها:

للاغترار بزخرف الدّنيا أثر ينبغي علاجه

وردت تسميتها بسورة (الزّخرف) و(حم الزّخرف) في كتب السُّنَّة والتَّفسير، فقد ذكر البخاريُّ تسميتَها بـ(حم الزُّخرف)[1]، وذكر التِّرمذيُّ تسميتَها بسورة (الزّخرف)[2]، وقد ذكر الكثيرون أنّ تسميتها بالزُّخرف إنَّما كان لورود هذه اللَّفظة فيها، في قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزّخرف: 34 - 35]، والزُّخرف هو الذَّهَب، وقد وردت اللَّفظةُ في سياق وصف بعضِ نعيم الدُّنيا الزّائل، ومقارنته بنعيم الآخرة الدّائم، مع ورود ذِكر هذه اللَّفظة في ثلاث سورٍ سواها[3]، ولم تُسمَّ باسمه؛ لكون هذا اللَّفظ فيهنَّ ورد موصوفًا أو مُضافًا.

وقد حاول البقاعيُّ الرَّبطَ بين اسمها ومقصودِها، فقال: "ومقصودُها: البشارة بإعلاء هذه الأُمَّة بالعقل والحكمة، حتّى يكونوا أعلى الأمم شأنًا؛ لأنَّ هدايتَهم بأمر لَدُنيٍّ هو من غريب الغريب، الَّذي هو للخواصِّ، فهو من المرتبة الثّانية من الغرابة، وأنَّ ذلك أمر لا بدَّ لهم منه، وإنِ اشتدَّت نفرتُهم منه، وإعراضُهم عنه، قال تعالى شاهدًا لذلك: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزّخرف: 44]، أي: تكونون أهلًا لأن يسألكم العلماءُ من جميع الأُمم عن دقائق الأحكام والحِكم، وحتّى تكونوا أهلًا للجنَّة، وعلى ذلك دلَّت تسميتُها بالزُّخرف، كما في آيتها"[4].

ولا شكَّ أنَّ الرَّبط بين اسم السّورة ومقصودِها أو محورِها إنَّما هو ناشئٌ من ضبط هذا المحور وتحديده، ومحورُها برأينا يقوم على بيان

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه: 4/ 1820.
(2) أخرجه التّرمذيّ في سننه: 5/ 378.
(3) الأنعام: 112، ويونس: 24، والإسراء: 93.
(4) البقاعيّ، مصاعد النّظر: 2/ 465، و466.

أثر الاغترار بالمظاهر المادّيَّة في الزَّوال الحضاريِّ والوجوديِّ، فسُمِّيَت السّورةُ بهذا الاسم؛ لما فيها من تمثيل رائع لمتاع الدُّنيا الزّائل؛ لذا عرضت السّورةُ جانبًا ممّا كانت الدَّعوة الإسلاميَّة تُلاقيه من مصاعب وعقبات، ومن جِدال واعتراضات، وتَعْرِض معها كيف كان القرآن الكريم يعالجها في النُّفوس، وكيف يُقرِّر في ثنايا علاجها حقائقَه وقِيَمَه في مواجهة الخُرافات والوثنيّات، والقيمِ الجاهليَّةِ الزّائفة، القائمةِ في بعض النُّفوس في كلِّ زمان ومكان.

المحور العامُّ للسّورة:

إذا كان محورُ سورةِ الشّورى الَّتي سبقت هذه السّورةَ يقوم على ضرورة تأكيد اتِّباع الوحي الإلهيِّ من أجل تحقيق وحْدةِ الأُمَّة ونبذِ فُرقتِها؛ إذ اعتنت السّورةُ بشكل لافتٍ بالوحي الإلهيِّ من خلال أركانه الثَّلاثة: الموحِي، والوَحي، والموحَى إليهم، فإنَّ هذه السّورةَ متَّصلة تمامَ الاتِّصال بهذه الرّوح التَّركيبيَّة لسورة الشّورى، وهي متمِّمَة لما جاء فيها، فمِحْورُها العامُّ يقوم على بيان أثر الاغترار بالقيم المادّيَّة الزّائلة في زوال الحضارات وتبديل القيم، ولذلك فقد قامت السّورةُ الكريمة بتعليل موقف المشركين في عنادهم للحقِّ، ومجادلتِهم بالباطل، وكثرةِ خصومتهم ولجاجِهم في شأن الوحي والرِّسالة والإيمان، وذلك بسبب تعلُّقِهم بالقيم المادّيَّة الزّائفة، وزُخْرفِ الحياة الدُّنيا، وتكذيبهم بالقيم الرّوحانيَّة الخالدة بخلود الحقِّ.

محورُ السّورة يقوم على بيان أثر الاغترار بالقيَم المادّيَّة في الزَّوال الحضاريِّ

ويمكن بيانُ ما تقدَّم من خلال النِّقاط الآتية:

أوَّلًا: استهلَّت السّورةُ مطلعَها بالحديث عن إعجاز القرآن ولغته ومكانته، على اعتبار أنَّه المرجعُ الأساس في وزنِ القيم والموازين بميزان الله ﷻ.

ثانيًا: تحدَّثت السّورةُ عن مصير المُكذِّبين بالوحي، من السّابقين

الَّذين آثَروا القِيَم المادّيَّة الزّائلةَ على القيم العُلْوِيَّة الدّائمة؛ وجاء ذلك تحذيرًا للمخاطَبين من أن يصيبَهم ما أصاب مَن سبقهم.

ثالثًا: عرضت السّورة لبعض الآيات الكونيَّة الدّالَّة على وحدة الخالق واستحقاقه العبادةَ، وذلك في معرض ردِّ شبهاتهم حولَ حقيقة الوحدانيَّة، فجادَلَتْهُم أكثرَ من مرَّة في شِرْكِهم باللّه، وحَذَّرَتْهُم من مآلات أمرهم؛ لتُصَحِّحَ لهم القيَمَ والموازينَ المنحرفةَ لديهم.

رابعًا: بيَّنَتِ السّورةُ لهم بشكلٍ مباشِرٍ أثرَ التَّرفِ والتَّعلُّقِ بمتاعِ الدُّنيا الزّائل في تحقُّق هلاكهم، وهلاكِ مَن كان قبلَهم، فبيَّنَت لهم أنَّ أوَّلَ فئةٍ من شأنها أن تُحارِب الحَقَّ هي فئةُ المُترفين، وبيَّنتْ لهم أنَّ كلَّ ما يمكن أن يُحصِّلوه مِن مكاسبَ مادّيَّةٍ ومنافعَ دنيويَّةٍ ما هو إلّا متاعٌ زائل.

موضوعاتُ السّورة وخصائصُها:

مَـدارُ السّـورةِ يـدور حـولَ التَّحـذيـر من مـتـاع الـدُّنـيـا الزّائل

موضوع هذه السّورة لا يخرج عن موضوعات السّور المكّيَّة في بيان أصول الاعتقاد، فبدأت السّورةُ ببيان مصدرِ القرآن العظيم، وهو الوحيُ الإلهيُّ، وتأكيدِ عربيَّته ومصداقيَّتِه، وجَعْلِه معجزةَ الإسلام والنَّبيِّ ﷺ الخالدةَ إلى يوم القيامة، وكونه أداةَ إنذارِ قريشٍ وقبائلِ العرب الَّذين أسرفوا في مُتَع الدُّنيا، وكذَّبوا رسولَهم كتكذيب مَن سبقهم من الأمم، ثمَّ أبانت بنحو قاطع أدلَّةَ وجودِ اللّه ﷻ وقدرتَه ووحدانيَّتَه من خلق السَّماوات، والأرضِ وتذليلِها وتمهيدها وإيجادِ طُرقِها، وإنزالِ الغيث النّافع عليها، وخَلْقِ أصناف الأشياء والفلك والأنعام لأهلها، واعترافِ المشركين صراحةً بأنَّ الخالق هو اللّه ﷻ، ولكنَّهم لوَّثوا ذلك الاعترافَ بالوثنيَّة والخُرافة، وأوردت قصصَ بعضِ الأنبياء من أولي العزم، كإبراهيمَ الخليلِ وموسى وعيسى عليهم السلام؛ ليعتبروا بها، ويتَّعظوا بأحداثها ونتائجها.

وأهمُّ موضوعات السّورة جاءت كما يأتي:

أوَّلًا: بيانُ إقرار المشركين بتوحيد الرُّبوبيَّة المقتضي توحيدَ الأُلوهيَّة، والتَّعجيبُ من حالهم؛ فهُم يعترفون بأنَّ الله هو خالقُهم وخالقُ المخلوقات كلِّها، ومع ذلك اتَّخذوا شركاءَ عاجزين عن النَّفع والضُّرِّ والتَّصرُّف.

ثانيًا: إبطال ما كانت عليه عقيدةُ المشركين في الملائكة؛ إذ جعلوهم بناتٍ لله وعبدوهم، مع اعتقادهم أنَّ البناتِ أقلُّ قَدْرًا من الذُّكور، ومستندُهم في ذلك تقليدُ آبائهم، وإبطالُ زعمهم أنَّهم على مِلَّة إبراهيم.

ثالثًا: بيان أنَّ الدُّنيا ليست ميزانًا لمَحبَّةِ الله للعبد، فالمشركون استبعدوا أن تنزلَ الرِّسالةُ على محمَّدٍ ﷺ، وهو يتيمٌ فقيرٌ، ورغبوا في أن يكونَ الوحيُ على رجلٍ عظيمٍ صاحبِ جاهٍ وثراءٍ، فردَّ القرآنُ هذه القِيَمَ الأرضيَّةَ الزّائفة.

رابعًا: التَّهديد بمجيء السّاعة فجأةً، وتصويرُ حالِ النّاس في مشهد القيامة، ووصفُ حالِ المؤمنين بعد دخولهم الجنَّة، وتعقيبُه بحال المجرمين في جهنَّم، وتذكيرُهم بإحصاء الملائكة أعمالَهم، وأنَّ ما هم فيه من العذاب سببُه أعمالُهم.

خامسًا: ختمت السّورةُ ببيان وصفِ نعيم الجنَّة الَّذي لا مثيل له، والمُخَصَّصِ للمؤمنين بآيات الله، المسلمين المُنقادين لربِّهم، وإيضاحِ أهوال القيامة وشدائدِ الأشقياء أهلِ النّار؛ إذ يتقلَّبون في عذاب جهنَّم، وإفلاسِهم من شفاعة الأصنام والآلهة المزعومة، وإعلانِ اليأس من إيمان هؤلاء المشركين والإعراض عنهم، فسوف يعلمون ما يلقونه من العذاب[1].

الخصائصُ الموضوعيَّة لسورة الزُّخرف:

أوَّلًا: تميَّزت السّورة الكريمة ببراعة الاستهلال، فلا يوجد سورة من أخواتها الحواميم، أو غيرِها من السّور الَّتي استُهلَّت بالأحرف المقطَّعة، تشبهها في مطلعها.

ثانيًا: تميَّزت السّورةُ الكريمة بموضوعاتٍ وتفصيلاتٍ لم تَرِد في غيرها من السّور، مثل:

(1) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 25/ 112، و114.

ذِكرِها لدُعاء ركوب الأنعام، وحديثِها عن تألُّه فرعونَ وادِّعائِه مُلْكَ مصرَ، واستخفافِه بقومه، وكذلك ذِكرُها اسمَ خازنِ النّار، ونداءَ الكافرين له، وعن تقييض الشَّياطين للمعرضين، وعن إبطال بنوَّة عيسى وتأليهِه، وكذلك حديثُ الكافرين عن نزول القرآن وغيرِ ذلك.

تميَّزت سورةُ الزُّخرف بخصائصَ أفردتها عن غيرها من السّور

الخصائصُ الأسلوبيَّة لسورة الزُّخرف:

أوَّلًا: تفرَّدت السّورةُ الكريمة بأنساق تعبيريَّة فريدة كثيرة خاصَّة بها، منها قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾، ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: 18]، ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19]، ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف: 33]، ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: 54]، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: 55]، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: 56]، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: 67]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ﴾ [الزخرف: 71]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: 75]، ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزخرف: 88]، وغيرها الكثير.

أنساقٌ تعبيريَّة فريدة خاصَّة، وإكثار من الحديث عن التَّرف والزُّخرف

ثانيًا: تميَّزتِ السّورةُ الكريمة بكثرة حديثها عن ألفاظ التَّرف والزُّخرف بصيغ واشتقاقات لم ترد في غيرها من السّور، مثل: ﴿ٱلْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: 18]، و﴿مُتْرَفُوهَآ﴾ [الزخرف: 23]، و﴿وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: 35]، و﴿أَسْوِرَةٌ﴾ [الزخرف: 53]، وكلُّ ذلك مرتبطٌ ارتباطًا مباشرًا بمحور السّورة الكريمة.

ثالثًا: ذُيِّلت ثمانٍ وسبعون آية من آياتها بحرف النّون، أي: بنسبة تصل إلى 88% من آياتها، ممّا أعطاها إيقاعًا موسيقيًّا خاصًّا بها، يُسهِّل حفظَها وتلاوتَها.

رابعًا: تفرَّدت هذه السّورةُ بألفاظ لم يَرِد لها من جذرها أيُّ اشتقاقٍ آخر في القرآن الكريم، نحو: ﴿أَبۡرَمُوٓاْ﴾ [الزخرف: 79] و﴿مُبۡرِمُونَ ٧٩﴾ [الزخرف: 79] في قوله: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ٧٩﴾ [الزخرف: 79]، ومثل هذه الألفاظ مرتبطة بالمِحور الرَّئيس للسّورة الكريمة.

مُناسَبَةُ السّورَةِ لِما قبلَها:

سـورةُ الزُّخـرف متَّصلة تمامًا بسورة الشّورى مـضـمـونًـا وأسلوبًا

هذه السّورة متمِّمة لما تقدَّم في سورة الشّورى، وتوجَزُ أوجهُ اتِّصالِهما فيما يأتي:

أوّلًا: تشابه مطلع الزُّخرف مع مطلع الشّورى وخاتمتها في وصف القرآن الكريم، وبيان مصدره: وهو الوحيُ الإلهيُّ.

ثانيًا: التَّشابه في إيراد الأدلَّة القاطعة على وجود الله ﷻ ووحدانيَّته، ووصفِ أحوال الآخرة ومخاوفها، وأهوالِ النّار الّتي يتعرَّض لها الكفّارُ، ومقارنته بنعيم الجنَّة وإعداده للمؤمنين المتَّقين.

ثالثًا: يعدُّ موضوعُ الوحي رابطًا بين السّورتَيْن، فسورةُ الزُّخرف هي امتدادٌ لما في سورة الشّورى وإتمامٌ لها.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"